

## الاسلام والمعمار في المجتمع الاسلامي

بقلم : الدكتور نعيمات احمد فؤاد

ليست المرة الاولى التي اتكلم فيها عن الاسلام والمعمار في المجتمع الاسلامي . وفي سابق  
قلت ان الاسلام كيف العمارة الاسلامية فما تلى الاقفيه تحقيقاً لمعنى الصداقة والى السقوف  
المخففة والى الاحتفال بالأسرة والبيت الذي كيف عمارته الحجاب في الاسلام ففتح على الداخل  
لا الخارج وشكل نوافذه مشربيات حاجبه .

كيف الاسلام العمارة الاسلامية يوم انعكس الترتيل في القرآن عليها ، العقود المتوازية . وتتوالى  
العقود في العمارة الاسلامية لون من التردد . ودكة الموددين في المسجد نوع من التردد . لون  
من التطريب الهندسي .

ونشر النجوم في الزخرفة الاسلامية في احجام مختلفة نوع من التردد والتوليد ويجري الطبع  
النجي الشهور في الفن الاسلامي تحية لسورة النجم .

والرحمة في الاسلام ترجمتها العمارة الاسلامية في عدة صور : المارستان والاسبله والاربطة  
والخانقاوات والاقاف والاحباس .

والجنة في الاسلام شكلت كثيراً من الآثار الاسلامية ممثلة في العمارة الخيرية .

وتؤكد الاسلام لقيمة العمل جعل العمارة الاسلامية لا تتوقف حتى في عصور ضعف الدولة  
الاسلامية .

وساحة الاسلام وشموليته كانت وراء عواصم قد تعددت العاصمة الاسلامية لان اصحابه لم  
يتتمكنوا بعدها بعدها معيينة فالاسلام دولة يقوم عليها المسلمين لا العرب ومن هنا كانت العاصمة بعد  
المدينه ، دمشق ثم بغداد ثم القاهرة هذا غير المدن الاندلسيه . وكان من اثر هذا ان  
ازدهرت في الاسلام المدن والعواصم ، معماريها وفنها وعلمها وهي في النهايه محسوبه له بما تحمل من  
نظمها وحضارة .

كما وقفت طويلاً عند توجيه القرآن للتشكيل والتلوين بالنور والظلال عند توجيهه للتجمسي  
والتصوير يوم وصف الكون صوراً حتى الكلمة الطيبة صورة اذ شبها بالشجرة الطيبة .

الاسلام والبناء :

لقد حالت روح الاسلام دون الهدم حتى في الحروب فحرم هدم المنازل او بيوت العبادة  
او قتل النساء والشيوخ والاطفال .

لقد خرج هولاكو وال Tartar من صحراء فغزروا وألقوا بسكنية بغداد في النهر لتكون موطن  
لخيولهم ١ وخرج العرب من صحراء فعمروا في الشرق والغرب .

(١) وليس معنى هذا انه لم يحدث هدم في دولة العرب ودولة الاسلام فالملوك كما يقول الجاحظ من شأنهم (أن يطمسوا آثار من قبلهم والعمل على اماتة ذكر أعادتهم فقد هدموا لهذا السبب ، المدن والحضر ) .

لقد أجرى الخليفة المأمون عارة (٢١٦هـ - ٨٣١م) بقبة الصخرة المطلة على القدس ، فأخذها سبباً أو مناسبة لمحوا اسم شقيقها عبد الملك بن مروان ووضع اسمه مكانه . وفلا انصاره ، تغير التاريخ الاول وهو ٢٢هـ - ٦٩١م فانكشف أمرهم . ولكن الحقيقة بعد هذا تضييع معالمها كالأثر .

وتحق كلمة المقريزي صاحب الموعظ والاخبار ( اذا ناملت البقاع وجدتها ، تشقى كما تشقى الرجال وتسعد ) (٢)

حتى صلاح الدين هدم سور مدينة انصنا بالصعيد وشحن أحجاره ليبني بها مع أحجار اليرم التي هدمها وزيره بهاء الدين قراقوش ، سروا يحيط بالقاهرة والفسطاط كما انه خرب كما يقول الأخرى حسن عبد الوهاب ، القصور الفاطمية وكانت من عجائب الدنيا . . . فتبعثرت أجزاؤها في منشآت المنصور قلاون وغيره .

حتى المساجد لم تسلم من يد الهدم والتخرب ! فقد هدم الملك (الصالح) ١ نجم الدين أيوب كثيراً من المساجد والقصور ليبني قلعة الروضة .

ولكن هؤلاء غلبوا بشريتهم الأرضية ، سطاوية العقيدة ، ومثالية الدين .

وكما يتجاور الخير والشر في الحياة بل في الطبيعة الواحدة أى في الانسان الواحد ، فان هؤلاء يقف الى جانبهم ، أخياراً عمروا أقاموا المدن والمكتبات وشجعوا العلوم والفنون فازدوا رزقاً وادهزاً . وما بنوه مدينة (الله) في فلسطين هو (بغداد) في العراق في مكان بابل القديمة ، والقطائع والعسكر والقاهرة المعزية في مصر الاسلامية . . . ولو ان الثلاث امتدادات لمنف العظيمة التي تتعدد ولا تتبدل . . . . . تتفجر ولا تتفتت . . . شاهدة الحضور . . . عزّة الوجود . . . لها ، بعد كل الاسماء ، في الوجودان المصري بل الانساني ، مكان لا ينافيه الا طيبة الطيبة أقدم مدينة في الدنيا .

وتضم مصر المدينتين . . . . . ويتوسّط اسمها المدينتين . . . مركزين حضاريين مصريين .

ويفتح العرب المسلمين ، الاندلس ، فينقلون اليها كل ما في بغداد من علوم وفنون وينشئون في قوطبة كثيراً من المباني الفخمة ، والمكتبات العظيمة العامة والخاصة .

(١) الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٣٧ - ٣٦ .

(٢) الموعظ والاخبار للمقريزي ج ١ ص ٣٤٨ .

ومن أشهر المكتبات العامة ، مكتبة قرطبة — بلغ عدد المكتبات العامة ستين مكتبة — وقد بلغ عدد مكتبة قرطبة أو مكتبة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦) مائتي ألف مجلد جمعها من أفرقة وفوارس وسائر البلدان . . . وكانه يستمع إلى الحديث (اطلبو العلم ولو في الصين) . . . وكانه يصف بقلب مفتوح إلى نداء الآيات التي تردد فيها اسم العلم ١١٦ مرة .

وكثرت رحلة العلماً بين الشرق والغرب للأفاده والاستزاده وليس كرحلة أخرى مذعورة حين دهم هولاكو بغداد ففرت العقول وتركها العلماً ولو لا مصر التي احتضنهم بل استقدمت الخليفة نفسه أحياءً للخلافة الإسلامية ، وكان هدف التيار الفضاء عليها ، باسقاط الخليفة وتدمير بغداد عاصمة الدول . . .

لقد جعل الرسول فدية الأسير تعليم عشرة من صبيان المسلمين في دعوة إلى العلم كالدين .  
ان الذين يكوا على الإسلام في الاندلس انما يكوا في الحقيقة على زائل من الحكم أما  
الإسلام فهو باق في الاندلس بل ان اسبانيا تعيش عليه اليوم بما تقصد اليه السياحة والرواد .  
الإسلام اليوم مائل في مسجد قرطبة وقصر الحمرا بفروناطه وأياته الباقيات في اشبيليه وموسييه  
ومدريد العاصمة نفسها وغيرها .

### الإسلام بناء .

( انما يضر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر )

وقد جعل المسألة ليست البناء فحسب بل \*

- \* المحافظة عليه .
- \* الاضافة اليه .

لقد بدأ جامع قرطبة بفدان وانتهى بثمانين

لقد كتب الإسلام تاريخ العمارة الإسلامية .

وتاريخ الأزهر خاصة . فواحد يضيف إليه ، وآخر يوقف عليه ، وثالث يجعل منه مدارس لتعليم القرآن وهو الجامعة الكبرى .

### تخطيط المدن في الإسلام :

وقد غنت الشريعة الإسلامية بتنظيم المدن . . . ففي سنن أبي داود : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بـأن ينادي في معسكره بأن من ضيق منزلاً أو قطع طرقاً فلا جهاد له ، وذلك حينما لاحظ تفسيق صنوف الأخبية في ميادين القتال . (١)

وقد وضع عمر بن الخطاب دستورا لانشاء المدن ، أذاعه على فاتح الأمسار وضفيها  
في صدر الاسلام ، فجعل المسجد محور المدينة أو مركز الدائرة بحيث تتفرع الشوارع حوله  
وأن تكون المقاهي أربعين ذراعا وما يليها ثلاثين ، وما بين ذلك عشرين ، والأزقة سبعة أذرع  
والقطاع ستين . (١)

وكذلك تناول المشرع الاسلامي قوانين سعة الشوارع والطرق ، وتناولها في أحكامه . واتفقا  
على ان الطريق النافذ بياج المور فيه لكل انسان لأنه حق للمسلمين ، فليس لأحد أن يبني فيه  
أو يخالف خط جاره ( خط التنظيم ) (٢) فلا يبرز عنه ، كما وضعوا قوانين لإقامة الأساطنة (٣)  
واشترطوا أن تكون مرتفعة بحيث يمر المحمل ، أو الظارس على جواد ورممه قائم ، وحرموا بناء  
الصاطب وغرس الاشجار امام الدور ، ما دام يترتب على غرسها تضييق الطريق .

ووضعوا في حكم المقاهي العامة الشوارع الخاصة التي أبيح استعمالها ، ومثلها الشوارع التي  
اصطلح الملاك على تركها من أملاكهم ، والطرق التي تشتقها الدولة ، فلا يجوز شغلها  
ولا تضيقها صونا لنقوش الجدران في وجهات المساجد والدور ، وتيسيرا للمرور ، ولتوفير الهواء  
« والنور ، شددوا على سعة الشوارع .

ومناسبة التخطيط وصف الكاتبون القاهرة وصفا لا أدرى هل نصره أو نحزن .

خرج اليها يوما موسى بن عيسى فهتف بمن حوله في بهر الاعجاب ، قائلا أو سائلا :

أتاملون الذي أرى ؟ قالوا وما الذي يرى الأمير ؟ قال أرى ميدان رهان ، وجنان  
نخل ، وستان شجر ، ومنازل سكنى ، وذروة جبل ، وبجدة وجبانة أموات ، ونهرا عجاجا ،  
وأرض زرع ، ومواقي طاشية ، ومرتع خيل ، وساحل بحري ، وصائد نهر ، وقانص وحش ،  
وملاجع سفينة ، وحادى ابل ، ومقازة رمل ، وسهلا وجبلًا فهذه شانية عشر متزها في أقل  
من ميل في .

ماذا نقول الآن ؟

...

...

...

...

وقد استحدثت العمارة الاسلامية عناصر تعدد كل منها موضوع هاما في تاريخ هذه العمارة  
مثل المئذنة المصرية بمراحل تطورها ..... ومثل القباب .

وأحفل البلاد بالآثار الاسلامية ، مصر .. حتى ليقول الاثري حسن عبد الوهاب : ( ان

(١) اقرأ المرجع السابق .

(٢) الفوائد الباهرة في حكم شوارع القاهرة .

(٣) السياط : مربين منزلين من أعلى .

مجموعة القباب والمنارات في مصر لا تظير لها في أي قطر آخر من الأقطار من حيث الكثرة والتتنوع في مادة البناء ما بين آجر وحجر، أو الجمع بينهما وما بين تنوع في الطرز والزخرف، وبهارة في الرشاقة، حتى أصبحت المئارة والقبة المصرية، جديرين بلقب عرائس القباب والمنارات في العالم الإسلامي .<sup>(١)</sup>

وقد مهرت مصر الآثار الإسلامية على أرضها وخارجها. ففي إنطاكية العالم الإسلامي ما يزيد على مئتي معلم، غالبيتها على طراز المئارات، التي كانوا يقصدون للبناء والتعديل والتجميل. أن من يراجع (توصيات المئارات على آثار مصر الإسلامية) وقد أفرد لها الأخرى حسن عبد الوهاب كتاباً، يزيد فيه ويرضيه أن (أكثر العمارات التي أجريت بالحرفين الشريفين نفذها مهندسون وعمال مصريون).<sup>(٢)</sup>

وقبل الأخرى المصوّر، أشاد بصناعة مصر، الرحالة عبد الفتاح النابلي، وأiben نضل الله العمري، والرحالة البشاري المقدسي، والبلاذري، والمهروي، وأiben بطوطه.

\* \* \*

ومبدأ التكافل الشامل في الإسلام كان وراء العمارة الإسلامية والجامعة الإسلامية.

مرة أخرى أعود إلى أقدم جامعة في الإسلام : الأزهر .

إنها روح الإسلام وراء نظام الأروقة فيه .

(المسلمون أسمه) و (خير أسماء أخرجت للناس) لهذا لم يكن الأزهر مسجداً محلياً بل مسجد أمة يلتقي فيه ٣٦ جنسية في ٣٦ رواقاً .

الإسلام وراء ناج محل في الهند بناء مسلم لمسلم .

بل الإسلام وراء فن الموسيقى ظان تجويد القرآن، القرآن وترتيل الآذان وراء حفظ الموسيقى العربية .

أما فن الكتابة العربية ظان الإسلام صاحبه وباعته وحاميته . لأنها لغة القرآن .

في مؤتمر لندن الذي عقد سنة ١٩٢٦ عزا الباحثون وحدة الفن الإسلامي إلى وحدة الخط العربي ولكن وحدة الفن الإسلامي أساسها وحدة الفكر الإسلامي .

لقد استمرت الحضارة الإسلامية انتظار الناس من غير العرب وغير المسلمين منذ ما يقرب من ألف سنة وبخاصة أولئك الفربين الذين خضعوا لتأثيرها كما يقول الدكتور فريد شافعى في كتابه

(١) كتاب الرسومات الهندسية للعمارة الإسلامية (لأستاذ حسن عبد الوهاب).

(٢) كتاب (توصيات المئارات على آثار مصر الإسلامية) (لأستاذ حسن عبد الوهاب).

(العمارة العربية في مصر الإسلامية) عندما أخذت أفواجهم تتابع على بلاد العرب والمسلمين اثناً عشر حرباً صليبية واستمرت تشد إبصارهم وتستهوي أقدامهم طوال تلك الحقبة إلى وقتما هذا . وقد أنصفها الكثيرون وفي مقدمتهم الدكتور سعيدون هونك في كتابها ( شمس اللئے على الف رجب )

غير أن قلة من هؤلاء العلماء لم تلتزم النهج العلمني الخالص فحاولت حجب الغفل عن أصحابه . من شدة احساسها به وهو نوع من التقدير المukoّف كما يقول الاستاذ العقاد . قد اشتد نفوذ الحضارة الإسلامية في المتصور الوسطى فلما لم يملك الجاحدون لها فنالاً من أسرها سموا المسلمين نقلة في اشارة الى مرحلة الترجمة التي سبقت مرحلة الابداع .

يكفي ان العرب وفروا على الحضارة الأوروبية والحضارة الحديثة اليوم ، زمناً طويلاً يمتد بعشرات القرون .

لقد لبست أوروبا في طور التخرج والنقل حين أخذوا عن العرب والمسلمين أكثر مما لبست العرب في هذا الطور حينما أخذوا عن اليونان .

ومهما يكن من أمر فإن أشد الناس تعصباً لا يمكنه الاقلال من شأن النتائج الحضارية الخطيرة التي حدثت في تاريخ البشرية ، وتتوتب على ظهور محمد النبي العرس وعلى قيامه ببيت الدعوة إلى الدين الإسلام وعلى انتشار هذا الدين في منطقة كبيرة من العالم ، فإن ما أحدثه محمد بما أتنى به من عقيدة وتعاليم يدعوها الناس إلى عبادة رب واحد عظيم ، وإلى خلق قوم ، وترشدهم إلى ما فيه صلاحهم وصلاح البشرية ، وإلى العلم والعدل والشورى . كل ذلك لا شك يعده نقطة تحول هامة في مجرى حضارات العالم ولا يمكن مقارنة هذا الحدث بأى حدث آخر في تاريخ البشرية .

كانت صفات وأسماء الله الخالق المبدع أاماً عمل الثنائيين ووجداداتهم وأحساسيهم فانتاجاتهم الفنية محملة بهذا الاحسان القدسية والعبادة والتوحيد والثناء حتى وقف العالم الفرنسي BOURGOIUN برجوان طويلاً عند الفن الإسلامي .

وقيل عن ليوناردو دافنشي انه كان يقضى وقتاً طويلاً في رسم هذه الزخارف الهندسية الإسلامية .

#### الإسلام والفنون :

ان تعلق القلب المسلم بالملوك كان وراء حب الفنان المسلم للتجريد حتى في رسمه للاشكال يخططها بالزخارف ويوشها بالنضمة أو يحيط الإجزاء إلى وحدة زخرفية في تحويله يكاد يبلغ مرتبة التصوير .

وتمطر السحاب بعد كلفة الرشيد بغزاره ويتدفق المال كالسيل ويظهر ميل النفس الطبيعي إلى الاستئثار بشئون الرغبة فيه وبعد حكمه طويلاً ويجد العربي المسلم حلاً سعيداً للمعادلة

الصبة . . . بين حض العقيدة على القسط والقام بين الاسراف والتغافل وبين حب الفخفة وجنون العظمه في بعض الفنان المسلم عن التمايل الشخمه النضمات والوشى والتدھب والترصیع حتى الجدران والارض غطاها بالفسيخاء . . . حتى الفخار أصبح خزفا له بريق معدني .

### العمارة الاسلامية :

ان الخاصية الرئيسية التي يوصي بها العالم الاسلامي من حيث الحضارة بعامة ، هي انه حقبة ثقافية في تطور جماعات متعددة ومتباينة من حيث الجنس والظروف الجغرافية ، وليس تعبيرا عن شعب واحد من الشعوب أو منطقة من المناطق . (١)

ومن هذا المنطلق نجد العمارة الاسلامية ذات اثر بعيد في العمائر المسيحية واليهودية خلال العصر الاسلامي في الاندلس وبعد ذلك . (٢)

وقد عرفت الحضارة الاسلامية ، العمارة ، حقها ، فألفت الكتب في العلوم الهندسية والرياضية والجيوش الميكانيكية وجر الأنفال ، مما أشار في ذكره (الفهرست) لابن النديم و (مفاتيح العلوم) للخوارزمي ، و (ارشاد القاصد) و (كشف الظنون) .

كما وضفت المؤلفات في علم عقود الابنية :

ويروي الاخير حسن عبد الوهاب أن في مكتبة أبي صوفيا نسخة من كتاب أبي الوفاء اليوزجاني (ت ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م) يتناول ما يحتاج إليه المكائد الصناع من أعمال الهندسة ، ولأحمد ابن عرقل الكرابيسي ، كتاب : حسن الدور ، وكتاب : مساحة الحلقة .

والقلقشندي في (صبح الأعشى) له وقفة عند هندسة العمائر ومهندسيها .

ولم يقتصر المهندسون المسلمين كما يقول الاستاذ حسن عبد الوهاب على رسم منشآته المعمارية بل وضع لها أحيانا نموذجا محسنا (ماكيت) وأقدم نموذج اسلامي هو قبة السلسلة بجوار قبة الصخرة بالقدس الشريف .

(١) اقرأ (تراث الاسلام) ج ٢ لمجموعة من المستشرقين (الترجمة العربية) .

(٢) اقرأ ١٠ جروبيه E. GRUBE "عناصر اسلامية في عمارة البندقية في العصور الوسطى ."

وبحث ج ٥ مايلز G. MILES الدولة البيزنطية والعرب  
Byzantium and The Arabs

- اقرأ ١٠ جيرازم بيهوي في : التأثيرات الشرقية في الفن الفرس

Oriental Influences in Western Art: By JAUROZBHAY

اقرأ تراث الاسلام ج ٢ ص ١٥

ويرى قصتها بأنه ( في أول إنشائها وقبل تجديدها كانت شكلًا بنى على مثاله قبة الصخرة سنة ٢٢ هـ - ٩٦١ لأن عبد الملك بن مروان حينما أراد بناء قبة الصخرة وصف ما يختاره من عماره القبة وتكونها للمهندسين والصناع فصنعوا له قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر ببناؤه قبة الصخرة طبقاً لهذا النموذج ) (١)

وقد أكد هذه الرواية مؤرخون ثقة ، منهم صاحب ( الجامع المستقصى في فضائل الأقصى )  
وغيره .

ان العمارة الإسلامية تنبع إلى الإسلام فما لا يحسب فلم يكن ل الوطن الإسلام الأصلى  
هذا الطراز من العمارة قبله ولكن يحسب للعرب السرعة والنجاج اللذان تم بهما ظهور طراز  
عماري إسلامي من شعورهم بالحاجة إليه ( وهو شعور يدعو إلى العجب حقاً ) ٠٠٠ إلى اظهار  
حقيقة الوجود الإسلامي في صورة مادية تختلف عما يحيط بها .

وتتميز مع ذلك بسمينة إسلامية مفهومة وتعتبر هذه النقطة كما يقول أوليغ جرابار على جانب  
كبير من الأهمية عندما نحاول أن نقدر تراث الإسلام العماراتى .

لقد انبثق هذا الشعور من طموح حضاري إلى مواكبة ما يحيط بهم من طرز عمارة فى  
البلاد المفتوحة فنأت العمارة الإسلامية رداً على مجموع كبير معدٍ من الأشكال السابقة عليها  
أو المعاصرة لها دون أن تكونها جملة وتفصيلاً .

بل ما يسترعى الانتباه كما يقول أوليغ جرابار ( ان التوليفات المعمارية التي تكونت خلال  
القرنين أو الثلاثة الأولى التي نشأت عنها كل التطورات المعمارية اللاحقة ، إنما كانت في ذاتها  
 مجرد مثل واحد لقدرة فريدة لدى المسلمين على تحويل عناصر شكلية أو وظيفية عديدة أخرى  
 إلى شيء إسلامي مع الاعتراف بأن هذه التوليفات كانت أول أمثلة هذه القدرة الفريدة وأفواها  
 تأثيراً ) .

لقد نشأت المسيحية في منطقة الشرق العريض إلا أن الإسلام كان أكثر انتفاعاً بما ورثه من  
حضارات وأكثر تفتناً فقد " أعطى معانٍ جديدة لأشكال كانت معروفة وشائعة ، كما أعطى معانٍ  
 قد يهم لمبتكرات جديدة في الأشكال ) .

ومع العمارة ، تراث إسلامي في فن الزخرفة إلى حد الولع . ولعل السر في هذا طول  
عهد العرب بالصحراء والرمل والتشابه والرتابة الشاملة والطويلة فما ان وقعت عيونهم في البلاد  
المفتوحة على الفنون والألوان حتى ابتهجوا بها ٠٠٠ وخدمتهم خاصة التعليم ، هدفهم  
فوصلا إلى المشاركة ثم المهارة ٠٠٠

(١) اقرأ كتاب ( الأنـس لـالـحامـيل بـتـارـيخ الـقـدـس وـالـخـلـيل ) جـ ١ صـ ٢٤١ .

وهنا لم يتركوا شيئاً إلا زخرفوه ولو نوّه وكان صنيعهم رد مادي على اللون الواحد (الصحراء) حتى الجدران غطوها بالألوان رخاماً وفسيساً، ورميغات قيشانية ملوونة حتى المعادن كثروا النحاس بالخضة، وموهوم بالذهب، ولو نوّه بالمينا ... حتى الكتب جلدوها بالألوان ... حتى ملابسهم أغرقوها بالاصباغ مما استلطف نظر سولومون . دوف جويتين ( S.D. GOITEIN ) في تحليله للألوان والاصباغ التي كان يستعملها الرجال والنساء في ملابسهم ، والتي ورد ذكرها في وثائق الجنيزية في مصر القديمة ( الفسطاط ) في القرنين الخامس والسادس للهجرة ، الحادى عشر والثانى عشر للميلاد .

وبخاصة عندما يتحدث عن التعدد الشايد في الألوان التي كانت مستخدمة في تلك العصور، والتي كانت تجعل الإنسان في العصور الوسطى يبدو كالطيور الاستوائية وهي تتصاحب بين الأشجار بألوان متداخلة ، وأشكال لامعة براقة ، ذات أطيااف متغيرة وخطوط وتموجات .

\* \* \*

نظم الاسلام المجتمع العربي بالحكم النظامي مثلاً في الخلافة بعد النظام القبلي . وكم بين الاثنين فيما يتعلق بالانسان من حقوق وواجبات تجعل عملها في مجتمعه الجديد كرامة واعداداً ... علماً وفناً وصناعة ... عطراً وعمارة ... أنساً وايناساً يعطي الانسان في ظلها عطاها ويؤتي خيراً لم يظلم منه شيئاً .

ويقارن توماس أرنولد في كتابه ( الخلافة ) بين الخلافة في الشرق والأمبراطورية الرومانية المقدسة في الغرب قيقول ان كلّيهما يستند إلى قوة الدين غير ان الامبراطورية المقدسة مستحدثة أو هي استمرار للأمبراطورية الرومانية في الوثنية حتى بعد المسيحية لم تكن الامبراطورية نظاماً جاماً فقد كان الامبراطور الحكم الزمني ، حين يعتبر البابا الحاكم الروحي أما الخلافة ( فانها لم تقم على نظام سياسي سابق ، بل هي نظام مستحدث ولقد الظروف والاحوال التي نشأت على اثر ظهور الاسلام ويسقط سيادة العرب على بلاد الفرس ومعظم بلاد الدولة الرومانية الشرقية . وال الخليفة حاكم سياسي يجمع بين السلطتين الزمنية والروحية ) .

انه اسلوب الاسلام الذي حد كثيراً من بطش الطفاة فأمن المجتمع الاسلامي واستقر . ومع الاستقرار انتشر المعمان في صور شتى .

لا اريد ان اتكلم عن الخلافة نظاماً سياسياً ودينياً قد تناولها فقهاء ومؤرخون منهم ابو اليحان البيروني ( ٤٤٠ / ١٤٠٨ ) وابو الحسن على الماوردي ( ٤٥٠ / ١٠٥٨ ) وابن حزم ( ٤٥٦ - ١٠٦٤ ) والشهرستاني ( ٥٤٨ - ١١٥٣ ) وابن خلدون ( ٨٠٨ - ١٣٨٢ ) كما تناولها مشتغلون بالفلسفة منهم أبو نصر الفارابي في كتابه عن أهل المدينة الفاضلة واخوان الصفا ، وشهاب الدين السهروردي في كتابه ( حكمة الاشراق ) .

وتتناولها مستشرقون منهم ( متر ) و ( جولدتنزير ) و ( توماس أرنولد ) .

ما أريد أن أقوله هو أن الإسلام كان وراء كل صفيحة وكبيرة في عمران المجتمع الإسلامي حيث استندت السياسة والقضاء . . . في الإسلام إلى روحه وتعاليمه ثم بعد هذا إلى مذاهبه الأربع .  
وعندما كانت السياسة ، خاصة ، تتغيا ما أمر به الإسلام أن يتبع ، كان يشيع في المجتمع العدل والخير يعزز هذا ويرس قواعده القضاء الإسلامي . فلا إسلام منذ وجد كان خيده وشرعيته . . . وكان المسجد جامعاً وجامعة وقبلة للرأي كالصلة ومكاناً للعبادة ، والشوري ، والاحلام في وقت واحد .

يقول توماس أرنولد : ( لم يكن المسجد مكاناً للعبادة فحسب ، بل كان أيضاً مركز الحياة السياسية والاجتماعية . فكان النبي يستقبل في المسجد السفراً ويدبر شؤون الدولة ، ويخطب جماعة المسلمين على المنبر في الأمور السياسية والدينية . فمن فوق منبر المدينة له أعلن عمر عن تقهر جيوش المسلمين في العراق ، واستحدث قوه على السير إلى هذه البلاد . ومن على المنبر أيضاً وقف عثمان يدافع عن نفسه ، كما كان الخليفة عند استخلافه يلقى من فوق المنبر على الجمهور خطبته الأولى التي هي بمثابة بيان عن سياسته في الحكم . ) أي خطبة المرشح بالاصطلاح الحديث .

وفي المسجد كانت تتحقق حول العلماء الندوة يفسرون ويشرحون .

وفى المسجد تلقى أطفال المسلمين العلم وحفظوا القرآن .

وفى المسجد تصدر القضاة للحكم بين الناس ونصبوا موازين العدل .

وحيث أخذ المسجد هذه الأهمية في حياة المسلمين ومدنهم صار محلماً عرواناً علينا وفيها . . . هندياً ودينياً ومساجد العصور الوسطى من أهم آثار الحضارة الإسلامية في ذلك العهد .

وقمة العمran في مجتمع ، المساواة بين أفراده .

وقد أعلى الإسلام قيم المساواة من تكافؤ في الحقوق والواجبات . . . من عدل ورحمة . حتى الرقيق سوى الإسلام بينه وبين مولاه في الطعام والشراب واللباس والتعليم والتهديب وفسر معظم الحقوق المدنية اللهم إلا في الولاية .

يقول صاحبا كتاب "نظم الإسلامية" (١) (كان من اختصاص المحكمة أن تحكم بتحرير الرقيق إذا ثبت أن سيده يعامله معاملة قاسية .)

كان منطق الإسلام ( ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهدينا ناجدين فلا اقتسم العقبة وما أدرك ما العقبة ، فلما رأبة ) وقدم هذا المعتقد على سائر أعمال الخير التي حضر عليها في هذه الآية .

(١) الدكتور على إبراهيم — والدكتور حسن إبراهيم .

هذا بينما يرى الرومان أرقاء :

أبناء الأرقاء ، حين ينصل الإسلام على لا تزرنفس وازرة أخرى ، والدينين والعجز عن الوظائف بالدين يستوجب الرق في شرعهم .

واليهود يرون أرقاء :

المدينين ... كالرومان سواه بمسواه .

والعاصون الشرع .

وبالطبع من أوقعهم سوء حظهم في يدهم من أبناء الآخرين .

وجاء المسيح ومضى والرق باق لم ينه تعديل .

ومجتمع يشيع التراحم بين أفراده من كل لون وصفه كالمجتمع الإسلامي ، مجتمع مستقر وويرى يرتفع فيه بناء الإنسان وبناء المكان .

\* \* \*

إذا كان المسرح أبو الفنون فان العمارة أحياها . وكما يعانق المسرح فنون الادب والموسيقى والتمثيل والفناء فان العمارة تحفظن فنون النقوش والزخرفة والتلوين .

فن التلوين في الإسلام :

ان اللون والزخرفة في الفن الإسلامي قصد :

\* لقيمة الجمالية .

\* للرموز عن الأشياء .

\* لمحاكاة النماذج .

\* للراحة النفسية بالتأثير .

ويعتمد الإيقاع في الفن الإسلامي على :

التماثل والتناظر والتبادل على الخطط اللتين وال الهندسية .

كان الإسلام وراء تشكيل الفراغ في الفن الإسلامي . فحين كره الفنان المسلم ، الفراغ ،

أراد ملء المساحات الكبيرة . وهنا رأى اعتماده على الخطوط والتوصيات التبانية الدقيقة تتطلب وقتا وجهدا مماثلا فرسم الحيوان والطير ليعينه الحجم على ملء المساحات ... ولكنه تقاديرا لرسم الكائنات الحية كما هي ، لجأ إلى تحوير الشكل .

كان الإسلام وراء الحليات المعمارية التي تشبه خلايا النحل والتي استعملت في المساجد

في طبقات مرصوصة وتستعمل في الزخرفة المعمارية .

ولقد أشاد القرآن بالعمل فيه شفاء للناس ، وأشار إلى بيوت النحل . والسورة ١٦ في القرآن الكريم تحمل اسم : النحل ( وأوحى ربكم إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعشرون . ثم كل من كل الشعارات فاسلكي سبل ربكم ذلك للا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون ) .

وقد تفكَّر الفنان المسلم فاستهدى بيوت النحل واستوحى خطوطها .  
وسورة النحل فيها ذكر لنعم كثيرة مما خلق الله وما استوحى الفنان الإسلامي فيما بعد على هدى من نوره . . . فيها ذكر للسماء والأرض وما ذرها فيها مختلف ألوانه . . . فيها ذكر للإنسان والأنعام والماء والزرع وكل الشعارات . . . والليل والنهر والشمس والقمر والنجم والبحر والجبال ( وان تمدوا نعمة الله لا تحيصوها ) .

وهذا الثراء ، أتمتع الفنان المسلم وأتسرع فيه برؤية رؤية من الأشكال والألوان . . .  
والخطوط حتى الأعداد .

ان النسبة الثانية في فارس عقوب وراءها الآية ( ويحمل عرش ربكم يومئذ فوقيهم شطانيه ) .

#### الإسلام والجمال في الحياة :

( والانعام خلقها لكم فيها دف ومتافع وضها تأكلون ولكن فيها جمال حين تزحفون ( لكل جمال ) ، وحين تسروحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغ فيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرُوف ورحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها ، وزينة ويزنة ويخلق ما لا تعلمون .

الزهد يضعف الجسم .

ولما كان العقل السليم في الجسم السليم .

فقد أحل الإسلام الزينة والسترة في غير حرام لبني مجتمع صحيح قوى .

#### الزخرفة والفن الإسلامي :

والخيل والبغال والحمير لتركبوها ولكن فيها متعة . . . اتخذها الفنان المسلم هاجراً لزخرفته .  
وفى المتحف الإسلامي القطعة المنسوجة سجل رقم ٩٠٦١ وبها شريط من الكتابة العربية  
مروسة بأسلوب زخرفي . . . وفي أعلى هذه الكتابة شريط أحمر اللون به صفات من الجمال البيضاء والخضراء  
مروسة بأسلوب هندسي محور جداً .

أكده التوازي الشريطي في الطبيعة المصرية فالوادي الأخضر شرائط هندسية جميلة دائمة  
الخضرة تشقه قنوات هي شرائط بيضاء كالخير فالماء حياة ونسمة . . . ويتحقق هذا كله النيل ولله  
ضمان يليه سهلان يليهما صحراء . . . طبيعة منظومة من بحر النيل .

الكتابة العربية والفن الإسلامي :

وأدت في النسخ ، الاشرطة المرضية وكأنها السطور من دخول الكتابة في الزخرفة  
والكتابة العربية لا تكون إلا أقيمة .

( ولقد زينا السماء الدنيا بمحابي ) الملك

( هو الذى جمل الشمس شيئاً والقمر نوراً . وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ) يونس ٥

( وصوركم فاحسن صوركم ) التفابن ٣

ويجيء بعد هذا ، الفن الاسلامي ، وهو فن تطبيقي يستمتع الى نداء حديث

( اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ) . وقد فتن القرآن له ابواب العلم .

والباحثون في الفن الاسلامي بدءاً من التوحيدى فى ( الامتاع والمؤانس ) حتى عصرنا  
الحاضر يجمعون على تكييف العقيدة للفن . ولأمر ما يحف المسلمين الفنان بأنه انسان فاضل بينما  
يوصف الفنان في الشرب بالبوهيمية بل ان الحروف العربية حين دخلت في التشكيل الفنى يقول  
الدكتور عزيز البهنسى ان مرجع هذا كله الى الفكرة التي أوضح فيها علامه التصوف الاسلامى عندما  
نادوا بأن للحروف العربية أسرارا خفية ونسبوا إليها قدرتها على جلب الخير (٢) بتاكيد  
كبيه عص و ن و ق والقرآن المجيد .

وان كت أرى ان العربية حرقا ومعنى . اسما ورسما انما تستمد قيمتها الفنية والنفسية من أنها لغة القرآن الكريم وهو الخير كله والقيمة كلها .

مودة أخرى :

• ان الاسلام والفن والعمارة . . . . موضوع كبير واسع الشواهء .

ليس أدل على قوة ذاتيه غير عاديه في الاسلام من أنه وهو حديث عهد بالفنون والصناعات قد احتواها بقوته وحقيقة حتى صارت معلمـا من معالمه جديدا قد يجاـء ٠٠٠٠ هو على جنسـه الأصلـية ، اسلامـ فـ النـهاـيـة والأـثـرـ والمـفـهـوم ٦٦

گورہ

نعمات احمد فؤاد

القاهرة : رمضان ١٤٠١

یولپہ ۱۹۸۱

(١) اقرا الامام الفزالي في (احياء علوم الدين)

(٢) كتاب دراسات نظرية في الفن العربي ، ص ١٨ .